

ضرر المطابع

لا وُردَ بلا شك ولا نفع إلا ومعه شيء من الضر. ومن شأن المضار انها تزيد وتتموع
 المنافع كما يبيع الشوك والقراص في الارض المحروثة المدة للزرع. يعلم ذلك اهل الزراعة فيقربون
 النبات الذي يزرعونه بعضه من بعض حتى لا يبقى مجال الاعتساب الضارة واذا نمت رغماً
 عنهم واضبوا على استئصالها كالأقوى وتحنق زرعهم. وعلى الذين يهتمون بمصالح البلاد
 وتوفير المنافع لم ودفع المضار عنهم ان يفعلوا مثل ذلك بما يتقرب بين الناس من الشرور والمضار
 حيث ينتظر نمو الخبرات والمنافع. ويصدق هذا بنوع خاص على المطابع ونشر الكتب فان
 الناس يؤلفون من الكتب النافع والضار والمصلح والمفسد والسمين والفث فلما كان نشر الكتب
 موقوفاً على افلام الكتاب كان انتشار المنافع قليلاً وكذلك انتشار المضار. اما وقد كثرت
 المطابع وسهل طبع الكتب ونشرها فصار انتشار الكتب الضارة ميسوراً لاسيما وان جمهور
 العامة اميل الى السخافة والاهام منهم الى العلم والحقائق

يفتينا عن الاسهاب في هذا الموضوع ما اظهره احد الادباء بالاحصاء من انه لا يطبع
 كتاب علمي مفيد في هذا القطر حتى يطبع فيه عشرون رواية وأكثرها مما لا فائدة من مطالعته
 وبعضها يفسد الاذواق والاخلاق. وهذا الداء منتشر في البلدان الاوربية أكثر مما هو منتشر
 عندنا لكن الاوربيين لم يفعلوا عنه بل احتاطوا له وتراهم يعالجونه على اساليب شتى فعندهم
 الانتقاد المحص في الجرائد والمجلات وعندهم الجمعيات العلمية والادبية حيث تداع العلوم
 والآداب ولا يخجل بلد من بلدانهم من مدارس تهذب فيها العقول وتكاتب لتوسع فيها المعارف.
 وعندهم ما لا يحصى من الصحف العلمية والادبية ينشئها كبار العلماء الذين لا يذكرون إلا
 الحقائق وهي رخيصة الثمن لكثرة ما يطبع وينشر منها فيسهل على كل احد الاشتراك فيها.
 هذه المزايا كلها تقاوم انتشار المضار والاضاليل او تمحو اثرها من النفوس

ولو كانت شكوانا من الروايات السمجة وكتب المجون لا غير لها ان الامر لان هذه الكتب
 تُعرف من عناونها فلا يطالعها من يرضه بوقته او يكره ان يرى الفاحشة بعينه. لكننا نشكو
 ايضاً مما تخفى مضاره على العامة وقد تخفى على بعض الخاصة. نشكو من الكتب التي تُسَرَّ
 لاسية حلة العلم ونظير عليها ديباجة التحقيق وفيها من السخائف والغرافات ما يزيد ظلمة العقول
 ظلمة ويرسخ الاهام في النفوس

وقد كنا نرى هذه السخائف في الكتب العربية القديمة التي طُبعت قبل انتشار المعارف

الحديثة فنود ان يعاد طبعها وتضاف اليها حواشٍ يُذكر فيها صريحاً ان هذا كان اعتقاد القدماء
 اما الآن فانتقص وثبت ما هو كذا وكذا كما فعل اليسوعيون ببعض الكتب التي طبعوها .
 اما الكتب القديمة التي لم تطبع قبلاً وطبعت الآن اول مرة فلا عذر لطابعيها اذا لم يعقبوا
 عليها بما يصلح خطأها ويقوم اودها ولا سيما اذا كان ما فيها من الخطأ وارداً مورد الحقائق
 العلمية . مثال ذلك ان الامام القزويني ذكر في جملة ما ذكره في كتابه عجائب الخلوقات ان
 الجراد " اذا رعت ايام الربيع طلبت ارضاً طيبة التربة رخوة ونزلت هناك وحفرت باذناها
 حفراً وباضت فيها كل واحدة مئة بيضة الالبيضة وطارَتْ وانبتها الطيور والبرد ثم اذا ات
 ايام الربيع واعتدل الزمان بقص ذلك البيض المدفون ويظهر مثل الذباب الصغار على
 وجه الارض الخ "

ومفاد ذلك ان الجراد تبيض ٩٩ بيضة في الربيع في الارض الطيبة التربة الرخوة وتبقى
 حية وتبقى بيضها في الارض الى الربيع التالي فينقص . ويتنظر من علماء العرب ان يكونوا على
 معرفة تامة بطباع الجراد لكثرتهم في بلادهم . وقد رأينا الجراد مراراً في بلاد الشام فوجدناه
 بيض في الارض الرخوة التربة والصلبة التربة وكثيراً ما يفضل الثانية على الاولى فيبيض
 على الطرق المطروقة في الاراضي الزراعية ويموت بعد وضع بيضه في الارض وينقص بيضه
 وتظهر صفاره بعد ايام قليلة من اسبوعين الى ثلاثة . والظاهر ان الامام الدميري اراد ان
 يصلح ما قاله القزويني فبالغ وخطأ قال " واذا اراد الجراد ان يبيض الشمس لبيضه المواضع الصلدة
 والصخور الصلبة التي لا تعمل فيها المعاول فيضربها بذنيه فتفترج له فيلتي بيضه في ذلك الصدع "
 ثم ملأ ثلاث صفحات كبيرة بما لافائدة علمية منه لكنه ألبسه حلالاً دينية حتى يضطر القارىء
 ان ينظر اليه بالتوقير ولو كان عقله لا يسلم بكثير منه

وقد يلمس عذر للقزويني والدميري ومثالهما بان ذلك كان يبلغ ما وصل اليه علمهم ولذنب
 طبعوا كتبهم منذ بضعة عشر عاماً حين لم يكن من يبحث او من يحص . ولكن اي عذر يلمس
 لمن ينشر اليوم كتاباً لاخوان الصفا يقال فيه ما نصه " ان الجراد اذا سمعت ايام الربيع سفي
 الربيع طلبت ارضاً طيبة التربة رخوة الحفر ونزلت هناك وحفرت بارجلها ومخالبها وادخلت
 اذناها في تلك الحفرة وطرحت فيها بيضاً ودفتنها ثم طارت وعاشت اياماً ثم اذا جاء وقت
 موتها اكلتها الطيور وماتت ما بقيت وهانك من حر او برد او ريج او مطر وفيت ثم اذا
 دار الحول وجاءت ايام الربيع واعتدل الزمان وطاب الهواء نشأ من تلك البيضة المدفونة في
 الارض مثل الدبدان الصغار ودبت على وجه الارض واكلت العشب والكلأ الخ . فنصل

مؤلفو هذا الكتاب ما ذكره القزويني لكي يزيدوه خطأً وخطلاً
 وذكر القزويني دودة القز فاصاب في وصفها قال في "دويبة اذا شبت من الرعي طلبت
 مواضعها من الاشجار والشوك ومدت من لعابها خيوطاً دقاقاً ونسجت على نفسها كناً مثل
 الكيس ليكون حرزاً لها من الحر والبرد والرياح والامطار ونامت الى وقت معلوم اما كيفية
 اقتنائها فمن عجائب الدنيا وهي انهم اول الربيع يأخذون البز ويشدونه في خرقة وتجعل تحت
 ثدي المرأة لتصل اليه حرارة البدن الى اسبوع ثم ينشر على شيء من ورق التوت المقصوص
 بالمقراض فتخرج الدودة وتأكل من ذلك الورق الى ان قال "واذا فرغت الدودة من
 عمل الفليجة عرضت على الشمس لتموت الدودة فيها ويحصل من الفليجة الابريسم ويترك بعض
 الفليجة ليثقبها الدود ويخرج ويبيض ويبضها يحفظ لسنة الآتية"

اما اخوان الصفاء فقالوا في كتابهم "ان دود القز تكون على رؤوس الاشجار في الجبال
 خاصة شجر القضا والتوت فانها اذا شبت من الرعي ايام الربيع وسمت اخذت تسج على نفسها
 من لعابها في رؤوس الاشجار شبه العنق والكن ثم تنام فيها اياماً معلومة فاذا انتهت طرحت
 بيضاً في داخل الكن الذي نسجت على نفسها ثم ثقبها وخرجت منها وسدت تلك الثقب
 وخرجت من الكن وطارت فتأكلها الطيور او تموت من الحر والبرد او المطر ويبقى ذلك البيض
 في تلك الحررات محرزاً ايام الصيف والخريف والشتاء من الحر والرياح والامطار الى ان
 يحول الحول ويحجي ايام الربيع ويحضن ذلك البيض في الحرزات ويخرج من تلك الثقب مثل
 الديدان الصغار وتدب على ورق الاشجار". ومفاد ذلك ان دود الحرير يبض في فلائجه
 ويسدها بعد خروجه منها وهذا يخالف لما ذكره القزويني وتخالف للواقع لان القراض يخرج
 من الفليجة ويبيض على خريطة يحفظ البز فيها الى الربيع التالي

وقس على ذلك قولهم عن لسان زعيم النحل ان الذباب والبق والبراغيث والديدان وما
 شاكلها لا تبيض ولا تحضن ولا تلد. وقولهم ان الزنابير تموت ثم تعيش ونحو ذلك مما يجري هذا
 الجرى ويخالف الحقائق المقررة في علم الحيوان

ولم يخص هذا الكتاب بالذكر لان فيه من الغلط ما ليس في غيره بل لانه اتفق اننا
 نظرنا فيه قبل كتابة هذه السطور. ولما يقع نظرنا على كتاب قديم من الكتب التي تطبع حديثاً
 الا ونرى فيه شيئاً كثيراً مما يخالف الحقائق المقررة تاريخية كانت او علمية او ادبية حتى لقد
 نصوب ما قاله المغفور له السيد جمال الدين الانغابي وقد قيل له ان استنباط طريقة جديدة
 لرسم الحروف العربية يفقدنا كل الكتب العربية القديمة فقال "اذا لا تنقد شيئاً"

والغالب ان يبقى المؤلفون سهام الانتقاد والتخطئة بأسوار من الآيات الكتابية والعقائد الدينية حتى يعسر على من يريد احقاق الحق الدنو منهم فيقولون مثلاً "ان الذباب يتولد من الطين بقدره الله تعالى وهو على كل شيء قدير" و"ان الزنايبير تموت وتبقى جنبها كل ايام الشتاء يابسة لعلها يقينا بالمعاد وان الله منشيها وميدها في العام القابل كما انشأها اول مرة فاذا انقضى الشتاء وجاء الربيع واعتدل الزمان وطاب الهواء نفخ الله تعالى فيها روح الحياة فعاش وتنت البيوت وباضت". فاذا خالفتهم بقولك ان الذباب لا يتولد من الطين بل من بيض باضه ذباب آخر قبله وان الزنايبير لا تموت ثم تعيش بل تنشوي تنام نوماً ثم تستيقظ سهل عليهم ان يرشقوك بالالحاد. ويمثل ذلك يفسد العلم او تضعف العقائد الدينية

ويا حبذا لو اهتمت ناسرو الكتب القديمة بتعليق الحواشي عليها اذا كان لا يلبث من نشرها او حبذا لو بذلوا همهم في تشييط المترجمين والمؤلفين على نشر كتب جديدة مما ينطبق على المعارف العلمية الحديثة لان الاعتماد على القديم لا يفيدنا اكثر مما افاد اسلافنا بل قد لا يفيدنا كما افادهم اذ نحن نناظر الان اقواماً لم يكونوا يناظرونهم فاذا لم نحاضر مثل هؤلاء الاقوام ولم نسع سعيهم قصرنا عنهم كثيراً وكبرت القرون ونحن في ساقاة الامم

صيد الاسد

اقبل الاوربيون على افريقية بجيولهم ورجلهم يقصدون تدويحتها شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً فلم يلقوا مقاومة من الانسان قدر ما لقوا من الحيوان وافتكه بهم تلك الميكروبات الصغيرة التي تضي ابدانهم ولا تبقى على كبير ولا على صغير لكن فتكها يخفي لا يتحدث به الناس كما يتحدثون بنتك الضواري ولا ترهب النفوس كما ترهب فتك الاسود

كتب بعضهم الى جريدة العالم الانكليزية يصف هجوم الاسد على ثلاثة من الاوربيين في طريق اوغندا في السادس من شهر يونيو الماضي قال كان المستر ريبال نماونت البوليس سائراً في مركبته على طريق اوغندا وكانت المركبة متصلة بقطر سكة الحديد التي هناك فالتقى برجل اسمه هينر وآخر اسمه باونتي حتى اذا وصل القطر الى محطة كيا على ٢٥٥ ميلاً من اول الخط رأى اسداً كبيراً وشبلين قرب المحطة وكان من مهرة الصيادين ففصل مركبته عن القطر ودعا الرجلين اليها ليبتوا فيها ويقوموا في الصباح الى صيد الاسد ثم يصلوها بقطر آخر يمر من هناك بعد الظهر فاجاباه الى ما طلب فصل المركبة عن القطر ودنعا الى تحويلة بجانب